٤١٦

عليه من قلة الفئة مصحوبة بهذه البيانات وحتى انه ترك سبون على غير امل وبعد فقصوص
وصوله الى كاليكوت ووصل الى هنا من دون ان يكون معه اى هدية من ملكه لعدم معلومية
بهذه العادات الجارية فى حكومة الزاموريين وعلى قدرها امكنه من منتجات مدخرات سفنه ولو انه
قليل القيمة جدا ولا يوافق ابدا تقديمه فى صفة هدية لجلالة الملك فانه قدم حسب الرسوم الجارية وانه
فى سفرته القابلة لا يخيب ابدا من تقديمه لجلالة الملك ما يليق بسموه وسمو ملكه من الهدايا و
الالطاف الثمينة والتحايف الجليلة فاستوفى الملك بهذه البيانات واستصوب قبولها مع قبول مقابلة
الاميرال وتلقاه مع الاحترام واعطاه الجواب انه فى الكافى واعدق على البرتقاليين بخيراته ومعروفه
وسمح لهم بالتجارة على السواحل الذين جاءوا بانفسهم فى الاسفار البعيدة حتى وصلوها وصار لهم
ارتباطات ودية ومواصلات حبية فلما راى المسلمون هذه التوجيهات والالتفاتات الوداديه
المبنى عليها خسارة ودمار التجارة المحتكرين اصولها وفروعها دخل الخوف فى قلوبهم وحسدوا البرتقاليين
على تمام نجاح اشغالهم وعزموا على ان لا يتركوا كبيرة ولا صغيرة من الاعمال المدمرة الا وفعلوها
لا عداهم اعداء الدين والتجارة فعقد كبارهم ووجوههم مجلسا فلا شرحوا فيه كافة المصايب
المدمرة لهم التى تحل بهم من هولاء الاعراب واقتدر النجوم لهم الطالع واخبروهم بانه لا بد من تكسير
وتفريق سفن هولاء الاعراب الكرويين الذات والصفات فى البحور الهندية
وكانت نتيجة عقد هذا المجلس هى بذل السعى والجهد الذى لا بد منه فى خراب ودمار سفن البرتقاليين
ولما راوا ان معارضتهم فى هذا الامر يتولد منه فى الحال حركات عدوانية استصوبوا طريقة الاتفاق
والدوران وجمعوا من بعضهم مبلغا جسيما وارشوا به الكوتوال وكان هذا حائز الوثاقة وشوكة الاعتبار
عند الزاموريين وكان الملك يعتمد عليه فى ارائه ويستريح فى اشغاله واعماله فاعرض الكوتوال للملك
ان كافة الحكايات والقصص الواردة من الجهات الغربية تصف هولاء الاعراب بانهم طوائف
شتى وصفوا ابها انفسهم وانهم بدل ان يكونوا تجارا او سفراء من طرف ملك من الملوك فانهم لصوص
قطاع سبل اخذوا اسبيلهم وجرائمهم البحور الاوروباوية الى ان صاروا فى حالة غير مامونة السلامة
لحياة انفسهم فهربوا ناجيين بانفسهم من تلك البحار من العدل واستتباب الامن الحاصل فيها ودخلوا
الى جهة بعيدة من ارض المعمورة حكيتهم منها ان يبذلوا اجهودهم وما فى طاقتهم على ملازمة اشغالهم
الشنيعة المفزعة ثم قال لجلالته انه فى مدة سيرهم فى طول السواحل الافريقية اوقعوا الاهوال
والاخطار والفزع بجذبهم بيارقهم واطلاق مدافعهم على القرى والمين والمداين وطردوا منها سكانها
ونهبوها ولو انه صار رفقا بهم فى مدينة ميلنده الا انهم ما تمكنوا من نزولهم الى البر وان كان و
صولهم الى هنا الذين يزعمون فيه انهم جاءوا فى ارسالية من طرف ملك كبير هذا حقيقى فانه لا اقل يكون
معهم هدية تواقف لجلالة سمو سيدنا ولا يقدمونه هدية حقيرة دنية يستحى رئيس سفينة تجارية ان
يهديها لسمو جلالتكم فتاثر الزاموريين جدا من عرض الكوتوال عليه هذه الحكاية وارسل لاوجه
وسئله عما سمع فى حقه واصحابه فاحتج فى اقواله واوضح بدلائل قوية كلما نسب الى البرتقاليين
حتى اقتنع الملك فى اقواله وسمح له بالتوجه الى محله من دون كدر ولا خوف فلما راى الاميرال عين الرفق
ما شاهده من الاعمال ما صدق ان ترك السراية حتى دخل فى هودجه واسرع فى السير الى سفنه
ومع هذا فان الكوتوال استقل معه الحزم والعقل ولازمه فى توجهه مع جماعة من وجوه قومه فى
سرعة سفره هذا مع غاية الادب والحشمة واظهر له اقوالا مرضية من قلب محشو بالكراهة والعداوة
ووصل دوجه فتاخرا بعد الغروب فى بندراني واجتهد فى تيسره الحصول على قارب او زورق صغير
يتوصل به الى سفنه فاوجد فقضى ليلة مع غاية التعب وشدة القلق والغضب فى منزل خبيح اعده له
الكوتوال وعند ما اراد ان يذهب للتوجه الى سفنه فى وقت الصباح بسبب ما كان مكمونا فى قلبه
من الخوف وجد كافة المنافذ محكمة بالخفر ومنع الخفر من الخروج من المنزل مع الادب وصار سجونا
فيه الا انه ما وقع من الكوتوال ما يخل بشرف دوجه فى صفة كونه مسجونا بل عامله مع المنة
والاحترام واجتهد فى ان ازال عنه كل ما يشوشه من الخوف واوجب دوام امن طرفه بجلب سفنه
بالقرب من ان حل داورى ودوجه عدة اخطار تحل بالسفن لو داومت على الاستقبال فى خارج الميناء
فوق سطح مياه الرياح وان المحل الذى امر بجلبها فيه محل امان وموقع اطمينان وسلامة لها
وتوطيد اعتماد ومنافع الزاموريين بها لانه بعد وجودها فى الاماكن على ظهر البحر دليلا كافيا
على وقوع جرائم وخوف وقلاقل فاستيقظ دوجه لهذه القول وعرف انه يتولد من ذلك شيئا
قبيحا امل يشرحم الحصول على حرق سفنه اودمارها فاتخذ لنفسه الحذر واجاب الكوتوال بقوله
انه

٤١٧

بقوله ان سفنه بالنسبة لكبرها وضخامة اجرامها لا يمكن سحبها بالقرب من ان حل داورى بمدة
اخطار تحيط بالسفن وانه ليست مثل السفن الهندية المسطوحة الا انها ابل من تحت ولما راى دوجه
الدلائل الواضحة فى ان حكام الزاموريين جاريين اشغالهم معه من دون امر من نفس الزاموريين
استخرج معهم الكلام القوى وانكر الاخار وقال لهم انه لا بد من ان يعرض شكواه باى حالة كانت
وما اصابه من الاحتقار للنظر فيها بمعرفة ملكهم الزاموريين واخيرا سمح له الكوتوال بالتوجه الى
سفنه من بعد ان انزل فى البر جانبا من شحنة سفنه تركها تحت كفالة وكيله
ديجو دياز وكاتبه بيده دو براجه وبيان للسلمين والكوتوال ما كان
لهم من طاقة فى مداومة دوجه مودوعا فى السجن اجروا الطرق اللازمة
فى فساد السوق عليه وكان لهم نفوذ قوى منعوا به كل تاجر وكل شارى
من التوجه الى بندرانى فارسل دوجه وكيله دياز يعرض شكواه
للزاموريين من هذا السلوك الردى الواقع فى الاشغال التجارية وفساد
اسواقها فرخص الملك بجلب شحنات السفن الى كاليكوت ولما جلبت
البضايع فى كاليكوت ببعث جزءا ما بالقايدة للمشتريين وكان ذلك
سيا فى جذب قلوب بعض التجار للمعاملة مع البرتقاليين ووثقوا بهم
فى معاملتهم معهم وتوجه الكثير منهم الى نفس السفن واشترى ما يلزم
لهم منها من البضايع التجارية واما المسلمون فانه ما حدث نار عداوتهم
وارسل مونترايد الى دياز ينصحه انهم غلبوا على الملك فى امر عداوتهم
للبرتقاليين ومن ثم انتظر دياز رخصة الوصول الى الملك وكان
طلب دياز من جلالته التصديق على مداومة اشغاله التجارية
ووفقا ما قاله لدوجه فى الابتداء انه سيرسل من طرفه سفيرا
الى البرتقال فاصاب اهله داء الشلل من كون الملك
نظر اليه بوجه عبوس بارد وهذه حالة لا يمكن زوالها
من قلبه ما لم تكن بتقديم هدية موافقة لسموه فلما
رجع من عند الملك راى نفسه فى وسط جماعة من الوجوه
فى صورة خفر عليه وكانوا يتحادثون معه فاعتقد فى
نفسه ان ذلك من الاحترامات المرعية الواجبة لكن بمجرد
وصوله الى بيت تجارته وضعوه فى الحال فى سجن
وضيقوا عليه فارسل مونترايد خبرا الى دوجه
بما تم من هذه الاهانة والوقاحة فاستشعر
دوجه بوقوع نفسه فى الشدة والضيق فمن ثم
سار فى طريق الحيلة والخداع واستقبل على التدريج
جماعة من الاهالى واعدق عليهم بمعروفه وكرمه
وكتب من عنده مكتوبا الى الملك اظهر له فيه وده وخلوصه وحسن طويته وانه لم يكن فى قلبه اى
اذى او ضرر او قابتر من شى ما بالنسبة لما حصل له من التعطيل وسوء الحال من قبل الوطنيين مع
البرتقاليين فى المعاملة مع الوثاقة والاعتماد كما كان ترافى السابق الى ان راى دوجه زورقا فيه
ستة من الامراء وخمسة عشر نفرا من الوجوه قرب من سفينته وبمجرد دخولهم فى السفينة قبض
على الجميع واودعهم فى سجن ضيق وكتب مكتوبا الى الملك اخبره فيه بما اجراه وانه اذا رغب الملك
خلوص الوكيل والكاتب من سجنهما فانه يفرج ايضا عن رعاياه فى نظير ذلك فزعم الزاموريين
بانه ما له معلومية بسجن الوكيل والكاتب واورى شدة الغضب من اذاعة لطريقة هذا الالزام
الذى عرضه عليه دوجه وعزم دوجه على سرعة السفر فخرج من ان حل سبعة قوارب مع غاية
السرعة شوهد فى واحد منها الوكيل والكاتب فلما وصل هذا القارب الى دوجه انزل فيه هو
ايضا ما كان موثوقا عنده من الامراء والوجوه وحجز عنده عدة اشخاص وتفهم انه يغلب
على امرهم فيما ملته اياهم باحسن المعاملات حتى انهم من بعد ما يشاهدوا مجد مملكة البرتقال
وابهتها والشرف الموجود فيه اهل هذه السفرة يعودون فى السنة القابلة بالاخبار السارة

Copyright © King Saud University